أسلوب ضم الأتباع وتنظيمهم

يعد أسلوب ضم المريدين إلى الجماعات الدينية المتطرفة هو نفس أسلوب الجماعات السرية عبر التاريخ. فهو يركز على الشباب وصغار السن، الذين يبدو منهم رفض الواقع السئ، والميل إلى الإصلاح، وتكون نفوسهم قابلة للتأثر وأرواحهم متعطشة لحياة النقاء، كما يمكن أن يكون لظروفهم المعيشية الصعبة دخل فى ذلك، مما يدفعهم إلى الانضمام إلى جماعة، تظهر فى البداية أنها ذات صبغة روحية خالصة، تقوم على رعايتهم، ويحسون فى ظلها بالراحة والاطمئنان.

وقديما وضع فلاسفة الإسماعيلية فى القرن الرابع الهجرى منهجا تربويا محكمة لاختيار الأعضاء وتربيتهم، واستعانوا فى ذلك بوسائل شتى، منها الإغراء بالمال والسلطة، وتقديم مختلف العروض التى تتلاءم مع طبيعة كل فرد. وفى البداية لايصارح العضو إلا بالرغبة فى الإصلاح، وتطهير الروح من الآثام، وتنقية الجسد من الشرور، ثم يتدرج الأمر إلى ضرورة التغيير الشامل، وقلب نظام الحكم.[٢٤]

ومن الواضح أن مثل هذا المنهج هو الذى يجرى تطبيقه لجذب أعضاء الجماعات الدينية. فالتركيز دائما على اجتذاب الشباب وصغار السن، لأنهم يكونون فى مرحلة يسهل فيها التأثير عليهم، وتشكيل عقائدهم، وتوجيه طاقاتهم (أما الشيوخ وكبار السن فقد رسخت عقائدهم، وتكونت بالفعل عاداتهم بحيث يصعب تغييرها، أو حتى تعديلها). وتعتبر المدارس والجامعات، ومجتمعات العمال، والمساجد من أنسب البيئات لاختيار الأعضاء الصالحين للمهمة، أو المتقبلين لها.

ويقوم أمراء الجماعات الصغيرة[٢٥] فى هذا المجال بدور أساسى. فهم الذين يختارون الأعضاء، ويتابعونهم بعد ذلك بالرعاية، ويسعون لحل مشكلاتهم الصغيرة بعناية، ويقدمون صداقتهم ودعمهم فى الوقت الذى يكون فيه الشاب محروما من رعاية أسرته، وحب أصدقائه. أما المشكلة العاطفية، فهم

يضمنون له حلها عن طريق تزويج العضو (الصالح) بأخت (صالحة) من نفس الجماعة، وبأقل قدر ممكن من التكاليف المرهقة لأمثاله من الشباب في هذا العصر.

وتكون البداية عادة بإطلاق اللحية وارتداء الجلباب القصير (تشبها بمظهر الرسول (ص) على حد تصورهم)، والحجاب ثم الخمار أو النقاب للفتيات. ويقوم هذا الزى مقام الشارة التى تتعارف بها الجماعة، وتزداد تماسكا بالاجتماع على أداء الصلاة فى مساجد مخصوصة، وعقد اللقاءات الحميمة فى جوها لتلقى التعليمات من الإخوة الأكثر تجربة، أو أمير الجماعة نفسه، مع المحافظة على تلاوة القرآن، وحفظ ماتيسر منه، دون الدخول فى تفسيره، فإن التفسير والشرح وقف على علمائهم وحدهم، أو على بعض المراجع التى يوصون بها، ومن أهمها "فى ظلال القرآن" لسيد قطب.

وهم بصفة عامة لايدفعون أتباعهم إلى التزود من العلم الموجود فى الجامعات بصورة موسعة. بل إنهم لايسعون أبدا إلى التفوق، والحصول على تقديرات عالية. ويبدو الأمر وكأنهم يريدون أن يقضوا فى الجامعة أطول فترة ممكنة، فليست الوظيفة الحكومية بالهدف الذى يستهويهم.

أما العمال وأصحاب المهن الأخرى فإن المساجد الأهلية هى المرتع الخصب لاجتذابهم. ولاشك أن سوء الأحوال الاقتصادية لهؤلاء، ونوعية المساكن التى يعيشون فيها، والظروف الاجتماعية الخانقة التى تحيط بهم.. من أهم مايدفعهم إلى الارتماء فى أحضان الجماعات الدينية، التى يلقون فى رحابها بمشكلاتهم اليومية، ويشعرون فيها ببعض الثقة والاطمئنان[٢٦].

أما التنظيم الحركى فقد استفاد -بدون شك- من تجربة الإخوان المسلمين. فالأعضاء يوزعون فى خلايا صغيرة كل خلية مكونة من (٥-٦) أفراد وأحيانا (٢-٣). ولها أمير مسئول عنها، ويتولى شئونها. ثم يتم الاتصال بين أفراد الخلايا والمستويات الأعلى منهم (أمراء المناطق، والمدن، والقرى)... وهؤلاء هو الذين يتصلون بأمراء المحافظات، الذين يحق لهم وحدهم الاتصال بقيادتهم العليا، أو أمير الجماعة نفسه.

وهكذا يتدرج تنظيم الجماعة -عنقوديا- فى شكل هرمى. ومن الواضح أن كل خلية تعمل وحدها، دون صلة مباشرة مع غيرها، حتى يمكن المحافظة على سرية المجموع وعدم كشف أعضائه. وهو ماثبت من التحقيقات، حيث ظهر أن العضو العادى لايعرف أكثر من أفراد خليته، وأميره المباشر.. ومن المؤكد أن الجماعات الدينية المتطرفة قد أدركت خطأ تنظيم الإخوان المسلمين الذين كان مسجلا فى قوائم، ويدفع أعضاؤه اشتراكات دورية بإيصالات مما سهل على الحكومة مهمة القبض عليهم، وتصفيتهم..

وتعتبر السرية المطلقة والتكتم على معلومات الجماعة وأهدافها الخاصة من أهم مايميز الجماعات المتطرفة. وهم يوصون أتباعهم بعدم الدخول فى مناقشات مع غيرهم. وفى الجامعة، يندر أن يتحدثوا مع أساتذتهم، بل إنهم يتجنبونهم قدر الإمكان، وهذا ما يجعل مهمة نصحهم أو إرشادهم من أصعب الأمور.

وفى المقابل من ذلك، فإن نشاطهم قوى وفعال فى داخل المدن الجامعية (زارنى فى العام الجامعى الماضى طالب فى السنة الأولى على استحياء وخشية، قائلا إن زملاءه فى المدينة الجامعية الأكبر سنا منه يقولون له: إن من لم يلتحق بجماعة دينية، فإسلامه غير صحيح. وعندما سألته عن إمكانية إعطائى أسماءهم لمناقشتهم فى هذا الأمر، رفض الطالب بشدة، ووعدنى أن يكرر الزيارة، ولكنه لم يفعل).

ويبقى القول بأن "الجماعة الإسلامية" هى الجماعة المتطرفة الوحيدة التى "تعلن" عن شكل تنظيمها، وطريقة تربية أتباعها. كما يقولون - على المنهج الإيمانى.. ولهذا السبب فهى موضع نقد عنيف من الجماعات الأخرى، التى لاتوافق على العلنية خوفا من التعرف عليها.

مخطط عام لتسلسل القيادة فى الجماعات المتطرفة[٢٧]

الأمير العام

يساعده: مجلس شورى + مفتى الجماعة

أمراء المحافظات

أمراء المناطق والمدن والقرى

أمراء الخلايا